الصخرة المقدسة فى المسجد الأقصى

لسعادة شيخ العروبة الأستاذ أحمد زكى باشا

(سعادة الباشا بلباس عربى ، جالسا فوق احدى «سقالات» البناء فى قبة الجامع الأثرى الذى بنيه)

ومن ذا الذى يجهل « شيخ العروبة » وقد ذاع اسمه وشاع ، وملأ البقاع والأصقاع ؟ وهل بعد دفاعه المجيد ، عن جدار المبكى فى القدس الشريف ، يحتاج منا إلى تعريف ؟

ذهبت إلى سعادته مرة من المرات التى أتشرف فيها بزيارته ، للسؤال عن بعض المسائل التاريخية ، أو التحقق من بعض النقط الخلافية ، فجر بنا الحديث إلى ذكر الصخرة الشريفة ، فصال فى الميـــدان وجال ، كأنما يستدعينى إلى الطعن والنزال . وأنى لطالب علم صغير ، بمنازلة « شيخ العروبة » وعلامة الشرق الكبير ؟

لكن الله أراد بى لطفا ، فما نشعر إلا وحامل البريد يسلم الباشا خطابا ذا مظروف عجيب ، فما أن قرأه حتى ضحك كثيرا ، وعجب للأقدار تساعد صغيرا ، وقال خذ الكتاب واقرأ ، إنما أتيت لأجله سائلا ، قد سبقك إليه صاحب هذا الكتاب أو لا . وإذن : فليكن جوابه على صفحات (المعرفة) فهى به أحق وأجدر .

فأما الخطاب فتاريخه ٢٤/٤/١٩٣١ وتاريخ وصوله ٢٠/٥/١٩٣١ وهو وارد من مدينة « جيمس تون » فى جنوب أفريقيا وهذا نصه : (من غير تعديل فيه)

تحريرا فى ٢٤/٤/٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين

إلى محترم المقام العالم العلامة سيدى العزيز سعادة أحمد زكى باشا أطال الله عمره وجعله ملجأ للقاصدين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأنى أتطفل بسؤال من جاهل مثلى إلى عالم مثلكم عن الصخرة الشريفة المعلقة بالبيت المقدس ما سبب رفعها وتعليقها فهل هى المعنية فى سورة الأعراف فى قوله تعالى « وإذ نتقنا الجبل » الآية ... أو جبل آخر وهل كان رفعها قبل [illegible] عليه السلام وهل كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يولى وجهه قبلها بعد أن بنى هو وابنه اسماعيل البيت الحرام أو قبله وهل يعقوب ويوسف وجميع الأنبياء الى عيسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يحجون البيت الحرام أو كانوا يحجون إلى الصخرة أو إلى البيت المقدس أرجو الأجابة على ذلك ولكم الأجر والثواب ولو كان ذلك بنشره فى الأهرام حتى يستفيد جاهل مثلى وتقبلوا فائق احترام خادمكم المخلص ؟ أحمد الرهبينى

وهذا هو مقال سعادة الباشا وفيه الرد الشافى

(وصف الصخرة)

إن مدينة القدس مبنية ، على جبال متشابكة متواصلة ، هى المعروفة بجبال القدس . ومنها جبل « موريا » ويقوم الحرم المقدسى على قمته . وكلمة « موريا » عبرانية يقابلها لفظة « مرأى » فى العربية لأنها محل الرؤية . أى رؤية الأنبياء لله تعالى

برزت من هذه القمة كتلة صخرية صلدة ، امتازت على سائر أبعاض هذا الجبل بالتماسك والصلابة والمتانة ، هذا إلى وضعها الذى جعلها فى شكل يلفت الأنظار

وذلك أنها مع اتصالها الوثيق بأرضية الجبل ، قد تجردت منه ، وبرزت عليه فصارت كالواقف فوقه المنحنى عليه

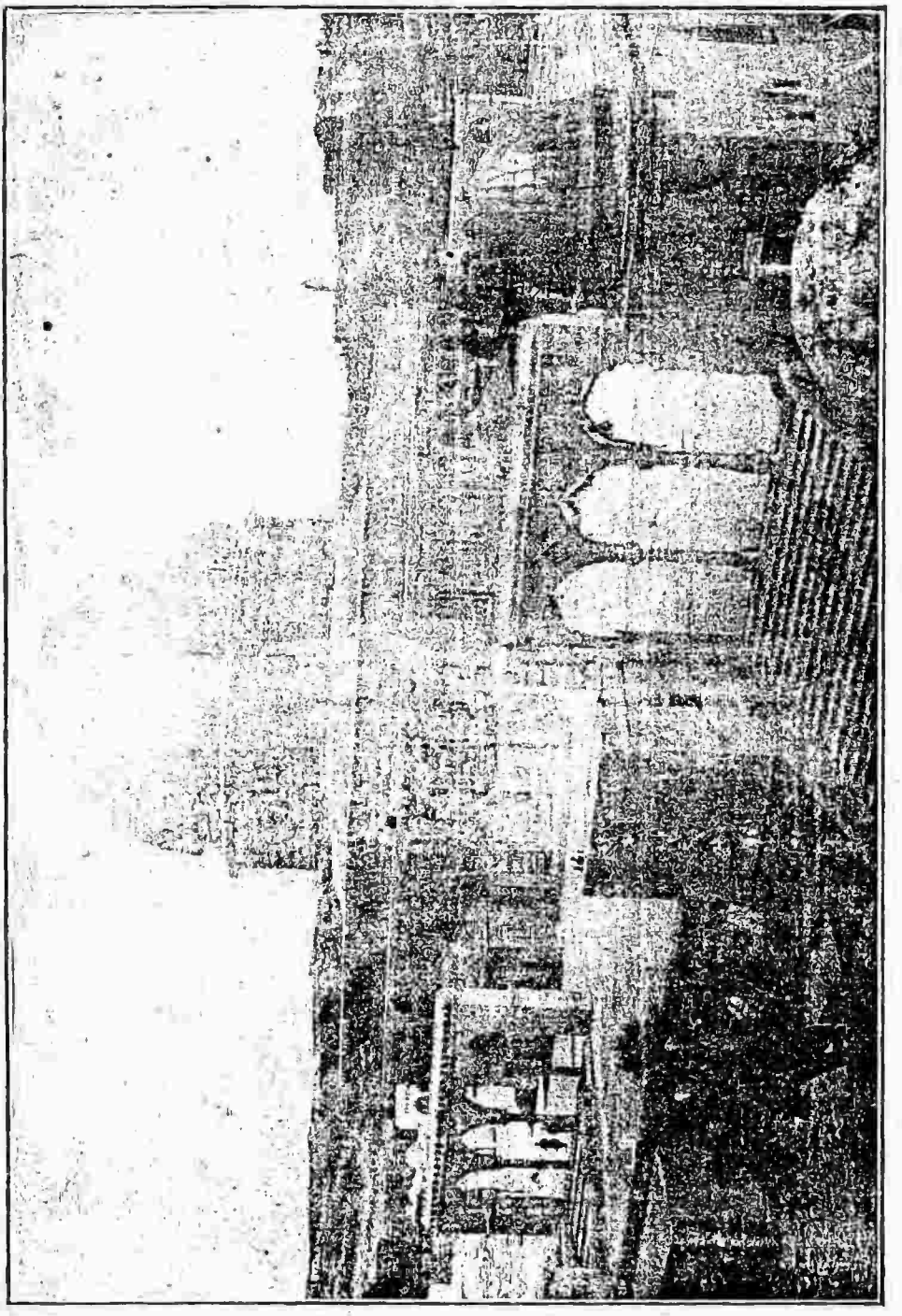

(منظر عام لقبة الصخرة المقدسة)

أما شكلها الطبيعى ، فيكاد يكون شبيها بالدائرة . والقسم المستدير منها ينحنى فى شبه الركوع إلى الناحية التى تشرق منها الشمس ، بخلاف الجزء العمودى فأن قمته مائلة إلى ناحية الغرب . وطولها ٥٦ قدما ، وعرضها ٤٢ قدما بالتقريب

وقد بقيت هـــذه الصخرة إلى الآن على حالتها الطبيعية ، كما أوجدتها الاضطرابات البركانية فى أيام الخليقة والتكوين . فتوالت عليها الدهور والعصور دون أن يلمسها الحجار أو الحفار أو النحات أو النقار ، بيد أو آلة أو أداة من أزميل أو إسفين أو مسمار

والناظر إليها يرى أنهـا تكاد تنكب على الأرض ، لولا أن الأمام محى الدين بن العربى (١) - على مابلغنى - قد تداركها من الانهيار والسقوط ، فأمر بأسنادها على عمودين لطيفين من الرخام ، لا يزالان قائمين إلى اليوم .

(أسباب تعظيمها)

١ — عليها خاطب يعقوب ربه ، ولذلك سماها « باب السماء »

٢ — فوقها رأى النبي داود الملاك يحصد بنى إسرائيل فى أيام الوباء ، فاشتراها لأقامة الهيكل عليها ، وصار يعبد الله فوقها

٣ — عليها كانت محاريب الهيكل الذى شيده سليمان . ثم الذى شيده زَرُبّابل مع نحَمْيا ، ثم الذى شيده هيرودس الأكبر ، ودعا عليه المسيح بالخراب . فصار قاعا صفصفا

٤ — تحتها قبر سليمان على ما يقال

٥ — عليها كان الأنبياء يقيمون الصلاة

٦ — إليها كان بنو إسرائيل يتوجهون فى صلواتهم أينما كانوا

---

(١) سألنى ولدنا المحقق صاحب «المعرفة» عن الدليل فى قولى « العربى » لا « عربى » فأجبته بأن الأمام نفسه قد كتب اسمه بأداة التعريف . كما رأيته بخطه فى إجازته لابنه على جزء من كتاب الفتوحات المكية . رأيته بحلب فى حيازة الأستاذ العنتابى .

(منظر عام لقبة الصخرة مع قبة السلسلة المشهورة)

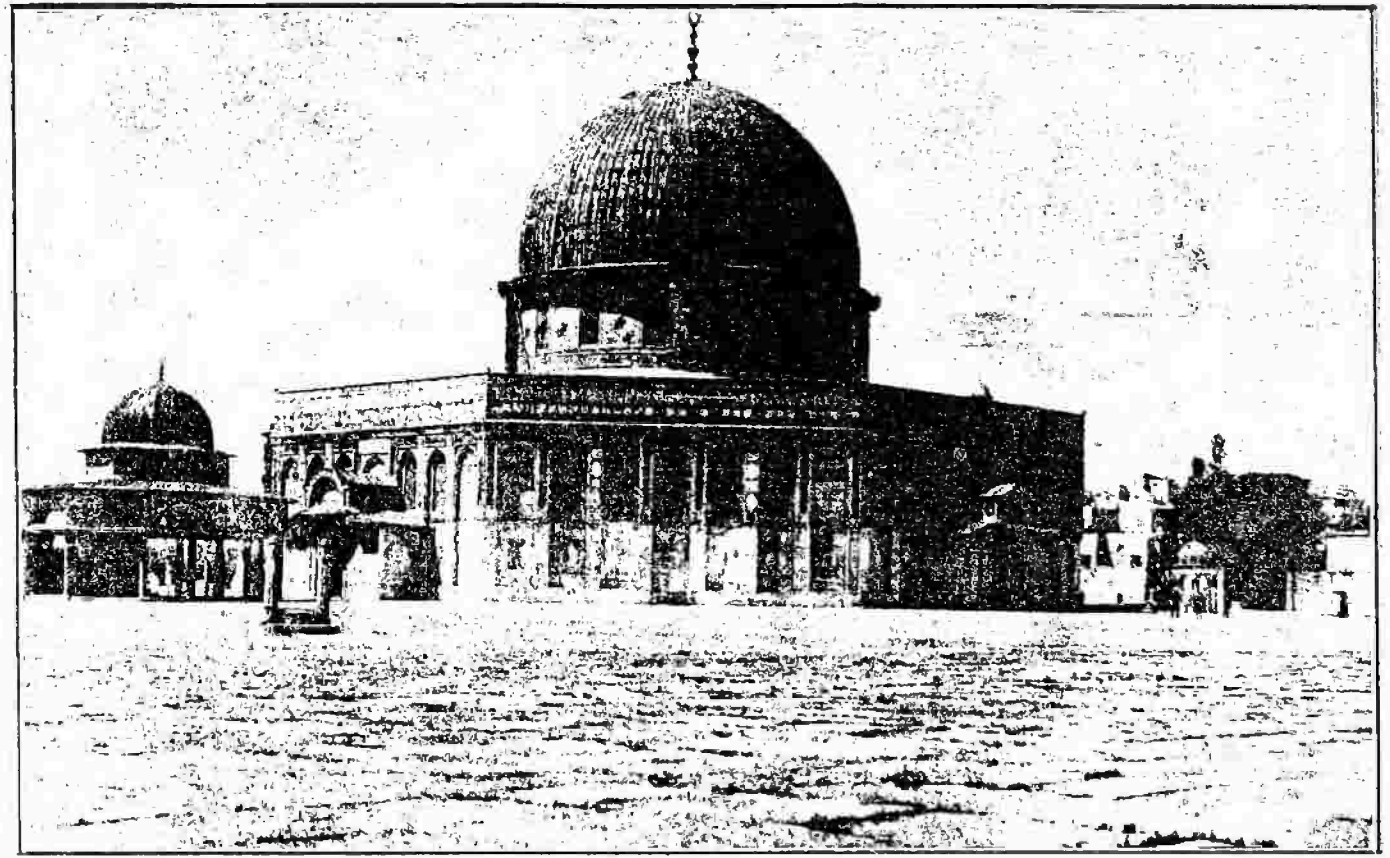

٧ — فوقها كان المحراب الذى تتعبد فيه السيدة « مريم » الطاهرة البتول العذراء وهناك كان يوافيها النبى زكريا (١)

٨ — عليها أقام الوثنيون من الرومان هيكلا لكبير آلهتهم زفس (وهو جوبتير عند الأفرنج ، وبرجيس عند الفرس ، وكوكب المشترى عند العرب)

٩ — إليها كان إسراء النبى العربى القرشى ، ومنها كان معراجه إلى السماء

١٠ — كانت قبلة للمسلمين يتوجهون إليها فى صلواتهم ، حينما كان هناك لنبيهم أمل فى استدراج اليهود إلى الدين الجديد . وبقى الحال على ذلك حتى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، فصارت الكعبة قبلة لهم (٢) حيثما كانوا فى الشمال أو الجنوب ، وفى الشرق أو الغرب

خرافات وأكاذيب عن الصخرة

تظاهر جماعة من أحبار اليهود بالدخول فى الإسلام ، ليصيبوه فى مقاتله إذ عجزوا عن هدمه بمناوأته وجهاً لوجه . وقد نالوا بعض بغيتهم بتسميم العقول وبث الأضاليل فى النفوس . وهكذا فتنوا الناس بالخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان

ورأس هؤلاء الذين اندسوا بين المسلمين لإفساد عقائدهم ثلاثة من أخبث الشياطين : — كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سبأ

لو كان المسلمون يتدبرون ، لقضوا قضاء مبرماً ونهائياً على كل ما دسه لهم هؤلاء الضالون المضلون . وإذن كانت تتطهر قلوبهم من فساد هذه الأدران الوبيلة ، وتسلم أفكارهم من التسمم بهذه الجراثيم الوبيئة .

إن ذلك الثالوث اليهودى الذى تظاهر بالإسلام من أجل الكيد

---

(١) القرآن سورة آل عمران (٣ — ٣٦)

(٢) القرآن سورة البقرة (٢ — ١٤٣)

(منظر المسجد الأقصى من داخله)

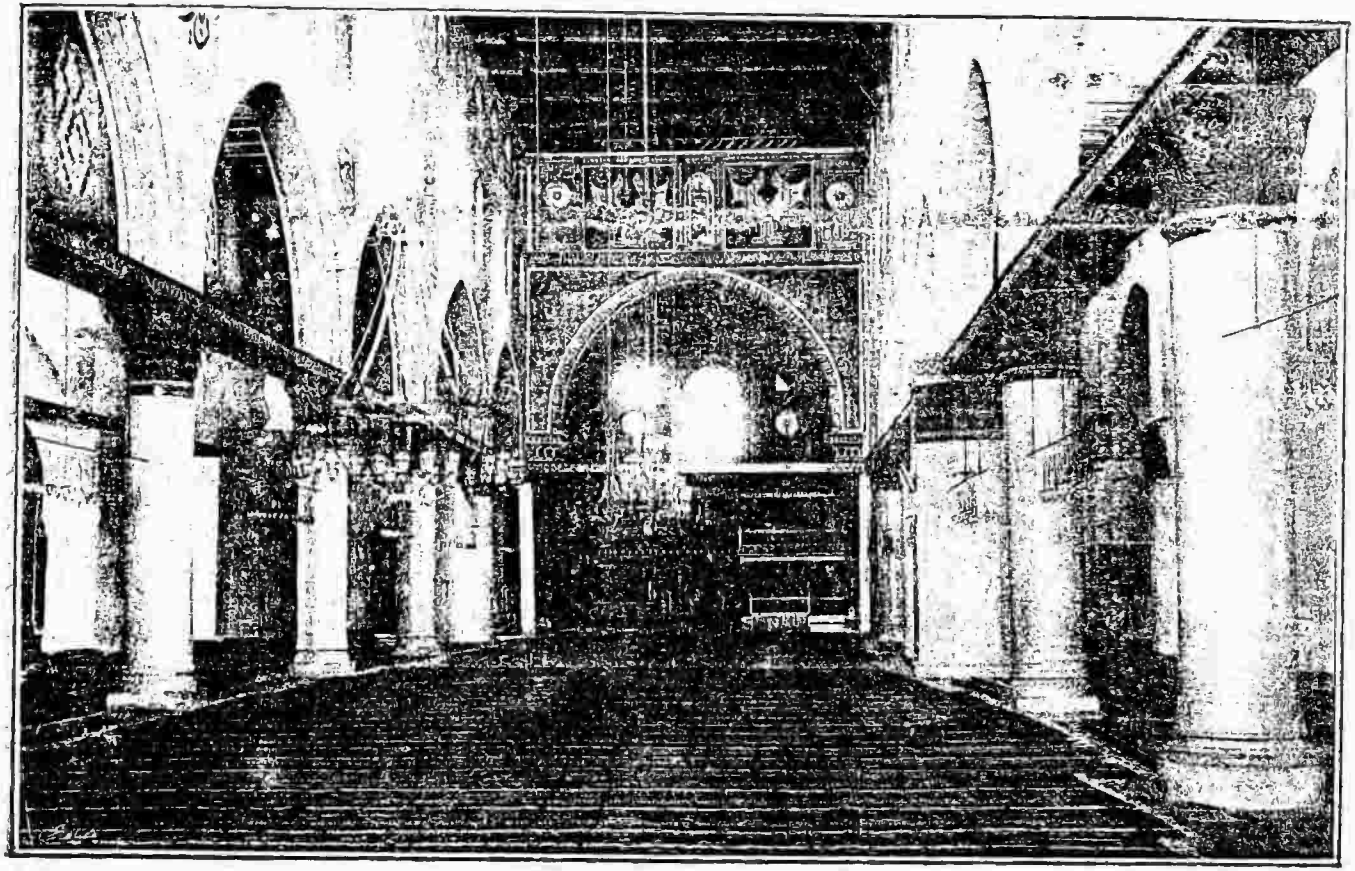

بالأسلام ، قد نسب إلى هـــذه الصخرة حماقات ، وسخافات ، وترهات ، وخزعبلات ، مما لا أصل له فى الدين ، ولا فى تقاليد المسلمين . ولكن عامة المسلمين ، غرتهم أضاليل أولئك الكذابين ، وللأوهام سلطان على العقول عند جميع الشعوب

فقد رأيت كثيرا من كتاب المسلمين يعتقدون و يصرحون بأن هـــذه الصخرة كانت ـ إلى عهد قريب منا ـ معلقة فى الفضاء . فلا هى تتصل بالأرض ولا هى ترتبط بالسماء ، بل جاهر فريق من الناس بالقول وبالكتابة أنهم مروا بجثمانهم تحتها ، من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، دون أن يعترضهم حاجز أو أن يصدهم حائل مع بقاء الصخرة معلقة فوق رؤوسهم ، لا تسقط عليهم ، ولا تميل يمنة ولا يسرة

وأنا قد زرتها مرارا وتكرارا ، فلم أجد فى منظرها الحالى ، أو فى شكلها الماضى مايدعو إلى مجرد الظن بهذه الأكذوبة الخرافية .

وأحسن وصف رأيته مطابقا للعقل وللواقع هو الذى كتبه الشريف الأدريسى فى « نزهة المشتاق لاختراق الآفاق » أثناء وجوده فى بلاط الملك رجار المسيحى الذى انتزع جزيرة صقلية من أيدى المسلمين ونصه : — « الصخرة المسماة بالرافقة ، وهى حجر مرتفع كالدكة فى وسط القبة رأسها الواحد مرتفع عن الأرض مقدار نصف قامة أو أشف من ذلك ، و رأسها الثانى لاصق بالأرض ، وطول هذه الصخرة مقارب لعرضها تكون بضع عشرة ذراعا فى مثلها ، و ينزل من باطنها وأسفلها إلى سرداب »

ولم ينقل ابن فضل الله العمرى تلك الأكذوبة الخرافية ، بل طهر منها كتابه « مسالك الأمصار »

* * *

وهل وقفت الخرافات عند حد تعليق الصخرة بين الأرض والسماء ؟

كلا !

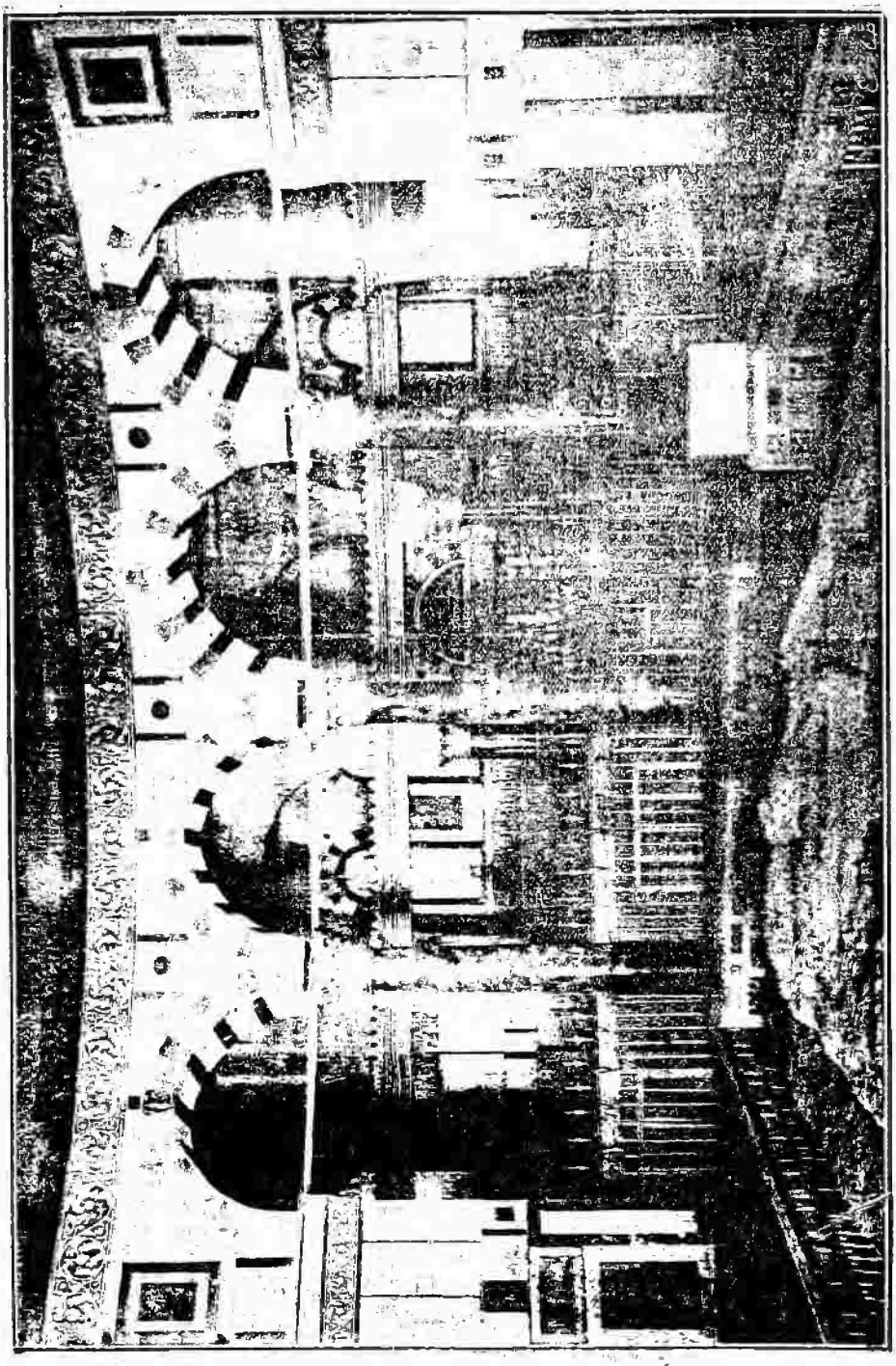

(منظر آخر لقبة الصخرة من الداخل)

فأولا على ظهر الصخرة وضعوا أكاذيب أخرى .

ا — فهناك ثقب مستدير فى وسطها ، يقولون إن النبي (صلعم) خرقه بجسمه أثناء تحفزه لامتطاء صهوة البراق والعروج عليه إلى السماء . وحاشا أن يصدر ذلك من ألطف إنسان خلقه الله فى أحسن تقويم !

ب — وهناك أيضا قطع رخامية مبعثرة ، هنا وهنا . يقولون إنها هى السرج الذى كان على ظهر البراق وما كان لنبي أن يركب على سرج من الرخام إلا إذا كان تمثالا فوق تمثال

ج — وهناك أيضا « كف جبريل » مطبوعة على الصخرة ، حينما لطمها بيمينه لتبقى ساكنة مستقرة فلا تتصاعد فى أثر البراق إلى نحو السماء ، والملائكة مخلوقون من أنوار ، وليس للنور مثل هذه الآثار فى الأحجار

ثانيا — أمام الصخرة « راية النبي » ، « ورايه الفاروق » ، « ودرقة حمزة ابن عبد المطلب سيد فرسان الأسلام » (١)

وقد جرت عادة القوم أنهم يتركون الغبار يتراكم على هذه المخلفات الثلاثة المزعومة إلى نهاية السنة ، وحينئذ يجمعونه ثم يبيعونه إلى من يعتقد فيه الشفاء من كل الأمراض والأسقام . وللمفتى الأكبر الحاج أمين الحسينى مأثرة بالغاء هذه المعرة ، ومافيها من مضرة

ثالثا — بجانب الصخرة خزانة لطيفة فيها قطعة من الجلمود عليها أثر قدم يزعمون أنها قدم نبي الأسلام .

وذلك كذب صراح وبهتان كبير ، طالما حاربته فى مصر وقد حاربته أخيرا فى بيت لحم ، وأتيت على أصل هذه الأكذوبة التى هى مثل أخواتها الاسرائيليات ،

---

(١) وليست درقة بل هى مرآة معدنية ، فقد قال ابن فضل الله العمرى فى « مسالك الأبصار » طبع احمد زكى باشا :

« إنها مرآة من السبعة معادن يسمونها درقة حمزة محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف » (ج ١ ص ١٤٢)

وأشرت إلى ما ينسبونه إلى النبي من أقدام أخر (وهم فيها كلها كاذبون) مثل القدم التي فى مسجد البدوى بطنطا ، والتى فى مسجد قايتباى بظاهر القاهرة ومثل تلك القدم التى استهوت فؤاد السائح الهروى حتى اشتراها بعشرين دينارا ، ومثل القدم المنسوبة لأبراهيم جد الأنبياء ، وأختها المنسوبة للمسيح بن مريم . كل ذلك من بقايا عبادة الأحجار ومن صناعة الفراعنة المصريين ، والوثنيين الأقدمين للأسباب التى بسطتها ، وللمرامى التى شرحتها فى موضعها — وهى معلومة لدى أهل الدراية والعرفان .

ومن أعجب العجائب أن هذا الحجر نفسه ، وبعينه قد جعله الصليبيون أثرا لقدم المسيح حينما استولوا على القدس ، ولم يكتفوا بالأثر الماثل له فى الشكل ، وفى الكذب ، الموجود بكنيسة القيامة .

خرافات لا أرضاها لهم كما أنى لا أرضاها للمسلمين

وأما اليهود فلم يأتنى عنهم نبأ بأنهم يقولون بها فيما يختص بهم وبأنبيائهم — إلا فيما يتعلق بالنبي أنوخ ، أو اخنوخ ، وهو المعروف عند المسلمين بأدريس

رابعا — هنالك انخفاض فى ترصيف البلاط فى الجانب الشرقى من أرضية الصخرة . يزعمون أنه أثر قدم النبي إدريس حين مروره بذاك المكان . وهذه أيضا من عجر الأسرائيليات إن لم تكن من بجر الأسرائيليين وهو مالا أرضاه للربانيين من بنى إسرائيل

مغارة الصخرة

تحت الصخرة المقدسة مغارة مجوفة بفعل الأحداث الطبيعية . ينزل الأنسان إليها من الزاوية الجنوبية الشرقية على احدى عشرة درجة منقورة فى الصخر . وارتفاع سقف هذه المغارة لايزيد على عشر أقدام بالتعديل المتوسط

هنالك مقام منسوب للخليل ابراهيم على اليسار ، ومحراب منسوب لسليمان على اليمين . وأما المحراب المزعوم لأبيه داود فى الجنوب ، يقابله فى الزاوية الشمالية

المقام المقال بلاحق إنه للخضر عليه السلام (١)

هل شنت الخرافات الغارة على هذه المغارة ؟ ـ نعم !

فني سقفها تجويف صغير يزعمون أنه حدث من اصطدام رأس نبي الأسلام به

وفيها قطعة من الجلمود بارزة الى الأمام يسمونها « لسان الصخرة » يزعمون أنها مدته لتحية عمر بن الخطاب حينما نظف الصخرة وطهرها ثم نزل إلى المغارة لأقامة الصلاة فيها . وهم فى ذلك كاذبون ، إلى غير ذلك من سخافات لم استقص لها خبرا . ولم أحط بها خبرا

ونأتى الآن على بيان السبب الذى حدا بالمخرفين إلى القول بأن الصخرة كانت معلقة بين الأرض والسماء .

فأنت إذا وقفت فى هـذه المغارة ، ثم ضربت الأرض بقدمك ، سمعت رنينا يتردد صداه فى جوف الأرض . وليس فى ذلك شيء من خوارق العادات أو مايخالف نواميس الطبيعة : فهذه الأرض المفروشة بالرخام ، إنما هى سقف لمغارة تحتانية أو صهريج أو بئر . وربما كانت هذه البئر هى التى كانت تتسرب إليها دماء القرابين . وزعمت الأسرائيليات بأن أرواح الموتى تجتمع فيها « على شكل مؤتمر ينعقد » مرتين فى كل أسبوع . تلك هى « بئر الأرواح »

ولكن الذى لاريب فيه عند العلماء المحققين ، وعند العاجز الضعيف كاتب هذه الحروف ، هو أن وجود هذه الفجوة الطبيعية ، أو المبنية تحت أرض الصخرة ، هو الذى دعا إلى قول الأسرائيليات بتلك الأكذوبة الخرافية ، وهى أن الصخرة معلقة فى الفضاء بين الأرض والسماء . ولعنة الله على الكاذبين ؟

عن دار العروبة بجيزة الفسطاط ـ أحمد زكى باشا

---

(١) هذا القول منقول عن علماء الأفرنج وأما الذى رواه ابن فضل الله العمرى فهو : ـ وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام لطاف . وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام قائم للسقف وعمود راقد . مرد لها . وبالركن الشمالى من المغارة ، صفة نقر ، يسمونها مقام الخليل (أنظر مسالك الأبصار ج ١ ص ١٤٣)